

مجموعۃ قصائد

عطر بین شطریں



بقلم الکاتبة منى قيس دخیل

إهداء:

إلى كلِّ قلبٍ جُرحَ فازهر،

إلى الذين جعلوا من ندوبهم حدائق، ومن دموعهم
أنهارًا، ومن صبرهم أجنحةً تعبر العتمة نحو الضوء.
هذا الكتاب شاهدٌ على أن الألم ليس نهاية، بل بدايةٌ
أخرى، وأنَّ أجمل الزهور تولد من أعماق الجراح.

المقدمة:

الألم ليس ندبةً على جسد الروح، بل بذرةٌ خفية تنبت
حين يلامسها الضوء؛

وما القصائد إلا شهودٌ على لحظة التحوّل، حين يصبح
الجرح نافذةً، والدمعة نبعًا، والصمت لغةً تزهر في قلب
العتمة.

عناقُ خِدِ وعين

سهمُ النوايا في الفؤادِ توغَّلا
فانبجست أنهارُ وجدٍ مُثَقَّلا
كُفَّ جفت، فأضرمت نارَ الأسى
حتى غدا قلبُ المحبِّ مُشتَعلا
قفي، ولا تنسابي جراحًا في المدى
فالخذُ يزهرُ بالعيونِ مُقْبَلا
إن العناقَ لروحِ عاشقٍ هائمٍ
يُحيي رمادَ الصبرِ صرخًا مُظَلَّلا
يا سهمَ قصدٍ، قد غدوت علامةً
تُبقي القلوبَ على الجراحِ مُعلَّلا
لكنني أبقيتُ في سرِّ القصيدِ رؤى
تُنهي احتراقَ الروحِ نورًا مُكَمَّلا
فإذا الفراقُ غدا نداءً نهايةً
عاد الرجاءُ إلى الدروبِ مُوصلا

على مقصلة الانتظار

ما بينَ مئذنةٍ وولادةٍ فجرٍ جديدٍ
ينبثقُ من جوفي زمنٍ بلا عقاربٍ ولا أرقامٍ،
يمحو حوافَ الطريقِ من ذهني المشتّتِ،
ويتركني كومةَ قشٍّ
بعثتها ريحٌ غريبٌ إلى المنافي.

كلُّ قشّةٍ صارتُ في بلدٍ تائهةٍ،
غريبةً تبحثُ عن ماضٍ يعانقُ المستقبلِ،
ويرسمُ الحاضرَ كابتسامةٍ مؤجّلةٍ،
تذوّقُ رشفةَ أملٍ من ثغرٍ وطنٍ مفقودٍ.

ما بينَ صومعةٍ وقبو نصفٍ مهترئٍ،
يتمزّقُ الوقتُ ويزوبُ النسيانُ،
فأراهُ ظلًّا يكسرهُ الماءُ المغادرُ،
وأحملُ بينَ أصابعي صورًا
محتٌ ملامحَها عقاربُ الساعةِ المنتحرةِ،
فتنسأبُ من كفي،

وتخلعني لتلبس الأرض
علها تدفئها وتمحو حرفاً قاتلاً
يرقد على مقصلة الانتظار.

مع كل ولادة فجر جديد
يموت فجر من صباحي،
يرقد تحت التراب بعينين
تلتهمان الأفق الحزين،
بكفين ملطختين بالحبر،
وبرأس تخاض به المعارك
وتتمزق راياتها على عتبة البقاء الخادع.

بين شعاع وآخر
تمشي الحروف على ظلال المارقين،
تحكي كقصّة بلا بطل ولا عنوان،
بلا مقدّمة ولا نهاية،
فقط ضياع يتردّد على مسرح الحياة،
كأنني صدى يلتهم الأصوات ويقول:
الفجر يولد ليموت
ويموت ليولد من جديد.

تاجُ مُرْصَع

هِيَ فِي الْإِسْلَامِ تاجُ مُرْصَعٍ
بِالْحَقِّ وَالرَّحْمَاتِ وَالْإِكْرَامِ
أُمُّ تُعَانُ وَتُرفَعُ الْمَنْزَلَاتِ
وَزَوْجَةٌ تُصَانُ مِنَ الْآثَامِ
بِنْتُ تُحَاظُ بِحَصْنٍ عِزٍّ شَامِخٍ
لَا يُنْتَهَى بضعْفٍ وَلَا إِظْلَامِ
كَرَّمَهَا الرَّحْمَنُ فِي آيَاتِهِ
وَجَعَلَهَا نُورًا عَلَى الْأَيَّامِ
قَالَ النَّبِيُّ: اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ
فَهِنَّ سِرُّ الطَّهْرِ وَالْإِلْهَامِ
فَهِيَ الْمَلِيكَةُ فِي الْحَيَاةِ مَكَانَةً
تُزْدَانُ بِالْعِلْمِ وَبِالْإِقْدَامِ

خارج حدود العقل

سالت عيون الأرض ليمونًا وزيتونًا
أرواح من رحلوا تتوهج في الغياب

تذوب الملامح في التراب
وتتماهى القلوب مع الثرى
أو تتأرجح في الثريا
حلماً يلبس ثوب الحقيقة
وحقيقة تتخفى في الحلم

دهر يتصوف حول مقلة الذكرى
دمعة تمضي بلا رجعة
نزول وصعود

حياة تتشظى بين سرايا وبرايا وحنايا
ثم نتقطر عائدين إلى أصلٍ يبتلع النهاية

أهو بحر أم نهر
نار أم نور
ليل أم نهار
دهر أم ساعة

خارج نطاق الحدود
وفوق ما يستطيعه العقل
تتجلى الأرواح
كأنها نجم يذوب في الأبد
أو صدى يكتب على جدار الكون:
الإنسان سؤال أبدي
والطريق لا ينتهي
بل يتجدد في كل دمعة
في كل حلم
في كل ساعة تتجاوز حدود العقل

الوحدة

رداءً من صمتٍ مهيب
يقي القلب من خناجر الخذلان
ويمنح الروح صفاءً يجليّ مرايا البصيرة

هي مقامٌ يختبر فيه الإنسان صدق حضوره مع ذاته
فيرى نفسه بلا زيف ولا أقنعة
ويكتشف أن العزلة ليست فقدًا بل اكتمال
وليست غيابًا بل حضورًا أعمق

في حضن الوحدة يتجلى صوت القلب
كالنور في العتمة
ويغدو الصمت لغةً أبلغ من الكلام
فيرتفع الإنسان فوق جراحه
ويجد في داخله وطنًا
لا تهزّه العواصف
ولا تفتّ من عزيّمته الأيام

جاثية أنا

جثوثٌ بوصيدٍ عينيه أرجوه
فجعلني حكايةً ترويه العيون
وجاريته فجاراني بخصمٍ
مغبونٍ يحيا على جورٍ وهون
جزاهُ الله ما سقاني جنوناً
يذيبُ القلبَ في نارِ الظنون
فأضحى الصبرُ في فؤادي سجيناً
وأضحى الحزنُ في دَمعي يَكون
أُنادي الليلَ: هل يُعيدُ صفاءً
أم استوطنَ الفؤاد به السكون
فيا ربَّاهُ إنَّ قلبي ضعيفٌ
يُناجي رحمتك يَرجو الحصون
فأنتَ المَلجأُ الذي لا يزولُ
وأنتَ النورُ في دربِ الفتون

شباب ومشيب

يا أيُّها الإنسان سر
لِقضاء ربِّك مُحْتَسِباً
فالدهرُ لا يُبقي على
أحدٍ ويَمْضي مذهباً
والعمرُ يَجري سابقاً
يُفني الشَّباب مُعَذِّباً
حتى إذا لآخ المشيبُ
أضحى الفؤادُ مُؤدِّباً
فارضُ القضاء وسلِّمَنْ
تلقَ السَّكينة مُقَرَّباً
فالدنيا دارُ متاعها
يَبني الفناء ويَخربها

عروة وثقى

فينا الخيرُ قد طلعا
كشمسٍ حقٍّ ساطعا
لا ننحني لرياحها
شدّت، ولا نتضعضا
فاللهُ يمنحُ قوّته
رجونا، ما خذلا
به نستعينُ وعزمنا
بعروته الوثقى معا
كنا وما زلنا على
دربِ اليقينِ نتمسكا
والروحُ تُشرقُ بالهدى
نورا يضيءُ ويُسطعا

صفعتُ الحرفَ فانفجرَ من كفي
شريانٌ يجرُّ زهرةً تختنق
لكنّها حينَ نزلتْ عبيراً
تنفّست من جديدٍ وأهدتني
دمعةً ورديةً ثقت قبضتي
انحدر من يدي نهراً مولوداً
من عبيرٍ يتيمٍ تبناه القلمُ
فأعطاه نسباً من الحبور
غدت أصابعي ثريةً تحتضنُ
حدائقَ ياسمينٍ ونرجسٍ وأقحوان
يسقيها ذاك النهرُ الذي صار
ابناً للحبر وأمه كفي
فباتت يدي رحماً للمعنى
تغمرةً بالندى وقصيدتي
جذور للمعنى يلتقي الحبرُ
بالدمع فيها والوردُ بالندى
واليدُ بالخلود فتغدو الكلماتُ
جنةً تزهو في قبضتي وتورقُ
في صمتي وتشرقُ في الوجود.

خيْطُ من ظله

ظُلٌّ طَوِيلٌ يَجُرُّ خَطَوَاتِي
كَأَنَّهُ يَرِبُّطُنِي بِخَيْطٍ مِنْ وَهْمٍ
وَيَمِدُّنِي بِجَرْعَةٍ أَمَلٍ لَا تَكْتَمَلُ

أَجْلَسُ عِنْدَ حَافَةِ الْوَقْتِ
أَرَاقِبُ عَقَارِبَ السَّاعَاتِ وَهِيَ تَتَشَاءِبُ
كَأَنَّهَا تَسْخَرُ مِنْ قَلْبِي
الَّذِي يَطْرُقُ أَبْوَابَ الْغِيَابِ بِلَا جَوَابِ

الانتظارُ
مدينةٌ بلا أبوابٍ
أَدْخَلُهَا كُلَّ يَوْمٍ
وَأُخْرِجُ مِنْهَا مَثْقَلًا بِالْفِرَاغِ

لَكِنِّي أَظِلُّ أَزْرَعُ فِي صَحْرَائِهَا
بَذُورَ الرِّجَاءِ
عَلَّهَا تُثْمَرُ يَوْمًا
وَتُعِيدُ إِلَيَّ وَجَهَ الْغَائِبِ
كَشَمْسٍ لَمْ تُطْفِئْهَا الْغَيُومُ...

كبرياء قلم

إذا رغبت في عيش رفيع
فلا ترضى بدنياك الهزيم

فموت المرء في أمرٍ وضع
كموت المرء في أمرٍ عظيم

تُقَادُ الخيلُ في نارِ المنايا
وتحيا بالعزيمة لا السقيم

فخذ بالعزم ما يسمو ويرقى
ولا تصغي لقول من لئيم

وكن حُرّاً تُجالدُ كلَّ دهرٍ
فلا يُغنيك عقلٌ دونَ حلمٍ

فشمسُ المجدِ لا تُعطي ضياءً
لمن يرضى الظلامَ بلا نجومٍ

خلق فأبدع

خلق الإله فأبدع الأكوانا
ونثر في الأفق الضياء بيانا
أحيا التراب فصار زهرا ناضرا
وسقى القلوب ففاض فيها حنانا
كل النجوم تسبح الله الذي
أعطى الوجود جماله ألوانا
هو الذي صور الحياة بقدره
فجعلها سرا عظيما شانا
سبحانه ما أروع الخلق الذي
أبدى لنا في الكون حسنا بانا

سرّ الدّراق

أحملُ في داخلي بذرةً عجوزًا
كأنها سرّ الدراق المخفي
قاسيةٌ متجعدةٌ في جوفها
بينما الخارجُ يزهو بطراوةٍ مخمليةٍ تخدع العين

روحي طفلةٌ تتلمّس أولى خطواتها
لكن حقيقتها بلغت السبعين
كل طريقٍ نزيّفٍ جديد
وكل منعطفٍ شاهدٌ على سقوطٍ آخر

انقسمتُ إلى ورقتين ذابلتين
واحدةٌ تتشبّثُ بفرعها كأنها تستجدي ذاكرةً لا تنطفئ
وأخرى تتقاذفها الرياح بلا مأوى
كأنها لا تعرفُ أين تنتمي

أنا المفارقة التي لا تُحتمل
طفلةٌ تحمل قلبًا مثقلًا بذاكرة الشيوخ
ثمرة حلوة تخفي في جوفها بذرة مُرّة
فراشةٌ تحمل جناحين مثقلين بالرماد

التعبُ ليس إرهاقًا عابرًا
بل فلسفةً كاملة
امتحانٌ للقدرة على الصمود
وبدايةٌ أخرى تتخفى في هيئة نهاية

أواصل السير محكومةً بالقدر
حتى لو كنتُ ورقةً ذابلةً تتقاذفها الرياح
أو بذرةً عجوزًا تنتظر أن تُدفن
لتولد من جديد في أرضٍ لا تعرف الرحمة

نَفْسُ فارغ

هجرانٌ يطوي الطريق
وصمتٌ ميتٌ يتكاثر في الفراغ
كأنَّ الكلام انتحر على حافة الغياب
وبقيتُ أنا أتنفّس الفراغ
أكتبُ بدمعةٍ لا تُرى
وأبوحُ بما لا يُقال

الهجرانُ ظلٌّ يلاحقني
والصمتُ مرآةٌ مكسورة
كلّما اقتربتُ منها
رأيتُ وجهي يتفتّت
كأنني أثرٌ بلا صوت
كأنني بوخٌ بلا حياة

نَهْزُ ودمعة

ما بك يا نهْزُ
تجرفُ دمعتي كأنك تُسقطُ وجهي في مجراك
أُردتُ أن تغدر بعذوبتك
وتستبيحَ ملوحةَ جفوني؟

دمعةٌ واحدةٌ تكفي
لتصيرَ خارطةً على سطحك
وتحفرني بين موجاتك المترامية
كأنني أثرٌ غريبٌ
يبحث عن ملامحه في الماء
ويذوب في تيهٍ لا ينتهي

اشتقتُ لي

اشتقتُ لي، لصوتي المنبعث من جنة الخلد،
اشتقتُ لطفلةٍ ترتدي زيَّ الأمس،
زهرةً على وجنة القمر،
تسير بخجلٍ في بساتين الحسن.

أتوق إليها، وهل التوق محرمٌ في قانون الجنِّ والإنس؟
كيف أعيدها للحياة
بعد أن قتلتها بمديتي،
ولطختُ بدمها كأسِي؟

أراها تبتسم لي،
تمدُّ يدًا مرتجفةً من البؤس،
تحاورني بعينيها الغارقتين
في بحرٍ لُجِّيٍّ من همس.

لقد قتلتها عمداً،
ورميْتُ جثتها في بئر الماضي المنسي،
مزقْتُ قلبها الذي أحرقني بطيبته،
وألبسني سوار النحاس.

لقد قتلتنِي قبل أن أقتلها،
قتلتنِي بسلامها،
بابتسامتها التي حفرت في رأسي.

أعترف بجريمتي النكراء:
نعم، أنا من قتل نفسي.

صرتُ إلى قدرِي فصارَ إليَّ
 صبرٌ يضيءُ الروحَ في مَحْفَلِ
 الغُلا وسلوانُ قلبٍ في الليالي
 إذا أرخى عليها الليلُ أستارَ البَلا
 وسلطانُ حلمٍ في الفؤادِ نما
 كالنورِ يزهو في الدجى مُتَجَلِّيا
 صبوْتُ للاستسلامِ حينَ بدا
 إنَّ التقدَّمَ في الرضا أسمى الغُلا
 فأبحرْتُ في بحرِ الحياةِ على
 موجٍ يجرُّ العزمَ نحوَ المُبتغى
 وإنَّ عصفَ ريحِ الزمانِ فلا
 يثني عزيمةَ التي لا تنثني
 أمضي على دربِ اليقينِ وفي
 كفي شعاعُ الحقِّ يعلو مُرتقى
 حتى إذا ما لآخَ صبحُ هدىً
 أزهرتُ أيامي وصارتُ مَنهَلا

لوحة الأمومة

الأمومة إشراقة كونٍ من عشبٍ وضوءٍ
امرأةٌ تحتضنُ طفلها
كأنها تحتضنُ سرَّ الخليقةِ كلّها
وتعيدُ للترابِ معنى البدايات

الحلمُ يتبعها بخطواتٍ من نورٍ
يجمعُ زهرَ الحياةِ من قلبِ الأرض
كأنّ الطفولةَ تُعيدُ رسمَ ملامحِ الزمن

النسيمُ يتهاמשُ مع ثوبها
والضوءُ يسكبُ صلاته على الوجوه
حتى الطبيعة تنحني لتُصغي
لنبضِ الحبِّ في هذا الركنِ السريِّ من الوجود

إنه مشهدٌ يتوهجُ دفئاً
دعاءً مُخضراً يرتفعُ من أجلِ الطفولة
ليظلَّ العالمُ أخضرَ أبدياً
ما دامَ في حضنِ أمٍّ
تُصلي بالحبِّ على مهدِ الحياة

كِبَر وثقة

خيْطٌ دَقِيقٌ بَيْنَ وَهْمٍ عَابِرٍ
يَعْلُو عَلَى فَرْعٍ كَظَلٍّ مُنْكَسِرٍ
وَبَيْنَ نَوْرٍ رَاسِخٍ مَتَوَهِّجٍ
يَثْبُثُ عَلَى يَقِينٍ كَفَجْرِ مُسْتَقَرٍ
فَالْتَكَبَرُ الْمَرْفُوعُ رَأْسًا خَادِعًا
يَخْفِي ضَعِيفَ الْقَلْبِ فِي سِتْرِ مُرٍ
أَمَّا الثِّقَةُ فَهِيَ ارْتِقَاءُ الرُّوحِ إِذْ
تَكْشِفُ قُوَّةَ حَقِّهَا فِي مُنْتَصَرٍ
الْوَهْمُ يَنْهَارُ إِذَا مَا لَاحَ صَدَقُ
وَالْحَقُّ يَبْقَى شَامِخًا لَا يَنْكَسِرُ
فَاجْعَلْ يَقِينَكَ مَنبَعًا لَضِيَائِهِ
وَاهْجِرْ غُرُورًا يَوْرَثُ الْقَلْبَ الْكَدْرُ

بذورُ النهضة

الكتابةُ بوخٍ يتخطى حدودَ الورق
يزرعُ في أرضِ المجتمعِ بذورًا للنهضة
يوقظُ العقولَ من سباتِها
ويفتحُ نوافذَ الحريةِ والوعي

الكلمةُ تُعيدُ تشكيلَ الوجدانِ الجمعي
تصبحُ مقاومةً صامتةً
لكنّها أبلغُ من الصراخ
فكلُّ نصٍّ صادقٍ بذرةٌ
تحملُ وعدًا بالتحول

النهضةُ لا تُبنى بالسيوفِ وحدها
بل بالكلماتِ التي تُعيدُ تعريفَ الذات
وتوقظُ الروحَ من غفوتِها
كأنَّ الكتابةَ صلاةٌ سرّيةٌ
تُقيمُ في قلبِ المجتمعِ
وتُعلنُ ولادةً جديدةً للحياة

فاتني قطارُ الزمانِ
فجلستُ عندَ رصيفِ الانتظار
أحلامي النائمةُ تتقلبُ في صمتِ
كأنَّها تبحثُ عن نافذةٍ للنهار

سلمتُ مفتاحَ الرضا للقدرِ
قبل أن يُغلقَ أبوابه في وجهي
يميني أنبتت زهرةً دامعةً
نامت في حنايا الحزنِ المحتبس

لكنَّها ظلت تأملُ شمسًا جديدةً
تبهجُها كما يُبهجُ قلبي صبرٌ لا ينقص
مررتُ بحلمي أطيّرُ بأجنحةٍ من وهمٍ
ورسمتُ دربي بين غيمٍ يتسعُ للرجاء

هناك، في فضاءٍ يقتربُ من الأمل
هواهُ عطورٌ، وماؤُهُ وعدٌ بالاقتراب
كأنني أكتبُ نفسي من جديد
وأعيدُ للروحِ معنى الطيران

سَهْمٌ مَسْمُومٌ إِذَا مَا أُطْلِقَا
 لَا يَرْتَدُّ، وَيُصِيبُ قَلْبًا مُرْهَقَا
 يَا أَيُّهَا الْمَتَنَمِّرُ اسْتَفْقْ، فَمَا
 قَوَّتْكَ الْوَهْمُ الَّذِي قَدْ أَعْمَقَا
 تَغْرَسُ شَوْكًَا فِي الْقُلُوبِ بَرِيئَةً
 وَتُذِيقُهَا مَرَّ الْأَذَى مُتَذَوِّقَا
 هَلْ جَرَّبْتَ كَأْسًا قَدْ سَقَيْتَ بِهِ
 لَتَذُوقَ جَرَحًا فِي الْفُؤَادِ مُعْلَقَا؟
 إِنَّ الْإِسَاءَةَ ضَعْفُ نَفْسٍ خَالِيَةٍ
 تَتَسَتَّرُ خَلْفَ الْقَنَاعِ مُفَرَّقَا
 وَالْقَلْبُ إِنْ يَجْرَحُ يُعْرِِي خَوَاءَهُ
 وَيُظْهِرُ عَجْزًا عَنْ مَحَبَّةٍ خَافَقَا
 فَلَا تُلْقَ لَفْظًا قَبْلَ أَنْ تَزْنَ الْحُرُوفُ
 وَلَا تُطْلَقَنَّ سَهْمًا يَعُودُ مُطْبَقَا
 فَالْكَرَامَةُ تُصَانُ بِرَفْعِ ضَعِيفِهَا
 لَا بِإِذْلَالِ يُمِيتُ الْمُرْهَقَا
 وَالْقُوَّةُ الْحَقَّةُ احْتِضَانُ نَفُوسِنَا
 لَا قَهْرَهَا، فَانْهَضْ بِصَدَقِ مُشْرِقَا
 تَذَكَّرْ بِأَنَّ الْمُسْلِمَ الْحَقُّ الَّذِي
 سَلِمَ الْوَرَى مِنْ لِسَانِهِ وَيَدَا

جسرٌ إلى الجنة

صبرٌ جسرٌ من لظى ودموعٍ
يعبرهُ المؤمنُ في خضوعٍ
يثقلُهُ البلاءُ لكِنَّهُ يمضي
على يقنٍ بلا رجوعٍ
حتى إذا بلغَ الضفافَ تجلّت
أبوابُ خلدٍ في ضياءٍ طلوعٍ
وتحوّلَ الألمُ المشتعلُ
نورًا يفيضُ بسكينةٍ روحٍ
هناكَ لا خوفٌ ولا حزنٌ يُرى
يُزفُ صابرٌ في جنانٍ خشوعٍ
ويُتوّجُ الفائزُ في أبديةٍ
بوسامٍ نصرٍ في علا الرفوعِ
كأنَّ صبرًا كانَ بذرةً أرضِ
قاحلةٍ تُثمرُ رياضَ شموعٍ
ويغدو الجزاءُ وعدًا محققًا
يسمو على الأحلامِ والأفقِ الواسعِ

قارئٌ وكاتبٌ

الشَّعْرُ نَفْحَةٌ رَبَّنَا سِرٌّ يَفِيضُ عَلَى الْقُلُوبِ
مَوْهوبَةٌ تُزْجِي الْحُرُوفَ بِدَمٍ وَتُحْيِيهَا الدُّرُوبُ

لَا يُسْتَعَارُ وَلَا يُقْلَدُ إِنَّهُ إِشْرَاقُ رُوحٍ
نُورٌ يَفِيضُ مِنَ الْجَوَانِحِ لَا يُقَيَّدُ بِالْبُوحِ

فَالْقَارِئُ الْمَسْكِينُ يَنْسُجُ مِنْ خِيوطِ الْغَيْرِ صَوْتٌ
يَبْقَى أَسِيرَ ظِلَالِهِمْ لَا يَمْلِكُ النَّبْرَاتِ حَتَّى أَوْ النَّعُوتِ

وَالكَاتِبُ الْغَارِقُ فِي كِتَابٍ يَلْطَخُ قَلَمُهُ بِمَا قَرَأَ
يَفْقَدُ صَفْوَةَ نِدَائِهِ وَيَذُوبُ فِي صَدَى الْوَرَقِ

هَذَا قَارِئٌ بَاقٍ وَذَاكَ كَاتِبٌ فِي مَرْتَقَى
لِكُلِّ رِسَالَةٍ سَامِيَةٍ لَا تَخْتَلِطُ أَبَدًا وَلَا تُمَحَى

موتٌ من نوعٍ آخر

ليس هو انطفاء الجسد في التراب
بل انطفاء الفكرة في العقول

هناك موتٌ يترك الإنسان أثرًا عابرًا
كظلٍّ يذوبُ في غبار الطريق
لا يُذكر ولا يُستعاد

وهناك موتٌ آخر
يُشعلُ أبوابَ الخلود
يترك نورًا يتوهج في القلوب
ويزرع بذورًا لا تموت
فتبقى الأسماء منقوشةً
على جبين التاريخ
كأنها نجومٌ لا تنطفئ

الخلود ليس بطول العمر
بل بما يترك المرء من قيم
تظل شاهدة على وجوده
يموت الجسد لكن الفكرة تبقى
تذبل الوردة لكن عبيرها يظل في الهواء

يغيب الإنسان لكن اسمه يظل حيًا
كأنه لم يرحل قط
هكذا يفرّق التاريخ بين من عاش ليُدفن
ومن عاش ليُخلد
بين من كان ظلًا عابرًا
ومن صار نجمًا أبدى في سماء الإنسانية

مُواجهة

ليس الحلُّ أن نُسكت الأصوات
فالأفواه وإن كُفِّمتْ
تظلُّ الأفكارُ تتناسلُ في الظلِّ

الحلُّ أن نقيمَ حصنًا في الداخل
حصنًا من ثقةٍ ووعيٍ وكرامةٍ
يردُّ السهامَ
ويحوِّلُ الجرحَ درسًا
والخذلانَ قوَّةً
والشتيمةَ صدىً يتلاشى في فضاءٍ لا يبلغُ القلبَ

فالكلمةُ الجارحةُ بلا سلطان
على نفسٍ ساميةٍ تعلو بروحها
وحين يشرقُ الإنسانُ من داخله
يغدو التنمُّرُ غبارًا يتناثرُ
أمام شمسٍ لا تُحجب

صدى

يرتدُّ الصدى في أعماقي كأنَّه نصلٌ يجرحُ الذاكرة
ويُقيمُ بين جدرانِ القلبِ شاهداً على ارتطامٍ لا يزول

زهورٌ تتفحَّم على ضفافِ الهجران
وفراشاتٌ تنزفُ أجنحتَها في انتظارِ ربيعٍ غائبٍ عن
المواعيد

تتناثرُ الفصولُ كعقدٍ لؤلؤٍ عتيق
تساقطُ حباته بين جفنِ الشمسِ المرهق
وبين ثلجٍ أسودٍ يطفئُ الحنينَ ويُطفئُ الشتاء

وفي زوايا اللوحةِ المتعفِّنة
تنبعثُ رائحةُ الخذلانِ كأنَّها اللحظةُ نفسها
كأنَّ الزمنَ يقطرُ خيانةً من مسامِهِ

أتدلى من روعي إلى قعر المشهد
كلما استعادتني الذكرى

كأنني أساق إلى هاوية من رماد وأجنحة ممزقة
وأظل هناك معلقاً بين احتراق الزهور
وانكسار الفراشات

أصغي إلى ارتطامي وهو يكتبني من جديد.

وضوء القلب

تسامح القلب وضوء طاهر أبدي
يغسل الأرواح من آثارها الحقد

كالماء يسري في الأعماق مُنطلقاً
فيورق الصدر بعد اليأس بالورد

هو البلسم الشافي إذا اشتدت محن
يذيب نار الأسى ويُطفئ الوقد

فامض به، إنه نورٌ يُضيء لنا
درب الحياة ويحيي القلب بالوجد

من حقّ الرجل

حقّ الرّجال بأنّ يُصانَ وقارُهم أبدًا
ويُشعروا أنّهم في العُمرِ مُعتمد

بالاحترام تُرى المهابةُ شامخةً
والبصمةُ الغراءُ تزهّرُ في البلدُ

ليست رجولةٌ من يُغالي في ادّعاءٍ
بل فعلٌ صدقٍ به يُستدلُّ ويُقتصدُ

فامضِ بعزٍّ، فإنّ الحقَّ يرفعهُ
من عاش بالعدل، لا بالظلمِ ينفردُ

ومضة

إذا لم أجد نفسي بمكان تركته
فلا رجعة لي فيه ما دام خالي
وأرواح لا تشبه الروح تُقصى
كأن لها في عالمي حظراً إدخال
فما العمر إلا ومضة لا تكرر
فكيف أضيّعه في وهم زائل؟
سأبني حياتي على مقياس قلبي
وأختار دربي، لا سواه، مثالي

عناق القوافي

عانت قوافي شعري الألم
وتكسّرت في صمتها نغمًا
عانقت طيف الحرف في سقم
حتى غدا من نزهة وردا ودما
والليل يطوي صرخة وجعا
والقلب يذكي جرحه حمما
أبكي على أوراقه ولها
وأخط نار الحزن والندما

مفتاحي الجيم

جاورت قلبًا فما أحسنت جواره
جعلته أسيرًا في جدارِ أحزانه
جمعته بعد كسرٍ ثم ركمته
جلست فوق حطامٍ ناثرٍ أشجانه
جافاك كلُّ محبٍّ مثلما جافيته
جافاك كلُّ محسنٍ مثلما مزقته
جنةٌ كانت تزهو في ساحاته
جهنمٌ باتت إذ سكنت أركانه

أإليه أعود؟

أيظن أني قد أذوبُ لرجعةٍ
والجرحُ ما زال يفيضُ بدمه

قد جاءَ يحملُ وردَهُ متبسِّماً
لكنَّ قلبي لا يلينُ لظلمه

كم خانَ عهدَ الحبِّ ثمَّ تبرَّأ الـ
أيامُ تشهدُ أنَّه في إثمِهِ

قد كنتُ طفلاً في يديه، فغادرتُ
روحي لتعلنَ أنني في حكمِهِ

أبكي، ولكن لا أحنُّ لظالمٍ

قد باعَ عمري، وارتوى من دمعِهِ

ما عدتُ أرجعُ، والرجوعُ مهانَةٌ
والعزُّ أن أبقى بعيداً عن يديه

قد كنتُ أهوى ظلهُ، فتنكَّر الـ
ليلُ الطويلُ، وأطفأ النورَ فيه

فإذا أتى، فالريخُ تحملُ صوتهُ
لكنَّ قلبي لا يجيبُ لندائه

قد علّمتني أن الهوى إن خانني
فالعزُّ أن أمضي بعيداً عن يديه

دعاء

نامتُ أَعْيُنُ النَّاسِ وَالرَّبُّ لَا يَنَامُ
نَادَيْتُهُ بِقَلْبٍ مَنكَسِرٍ وَقَدْ أَجَابَ

دَعَاءُ أُمَّتِهِ الْمَبْلَلُ بِالْدمعِ تَوْبَةً
أَرْجُوهُ فَهُوَ الرَّجَاءُ لِمَنْ خَابَ

رَبِّي إِنِّي مَسَّنِيَ الضَّرُّ فَنجِّني
كَمَا تُنْجِي مَنْ دَعَا مِنَ الْأَحْبَابِ

بحرٌ وقافيةٌ غارقة

طرحْتُ الفؤاد أرضاً كي يصفو القمر
وأوقدتُ نارَ شوقي في دجى السهرِ
حتى باتت تكوي جراحاً في مآقيه
وتتقات من قلبٍ صبٍّ نازفٍ الأثرِ
أتقتاتُ من فؤادٍ يسكبُ الرحمة في
حجرٍ صلدٍ ويعلمُ الحبُّ لبني البشرِ؟
بئسَ الذي صفَعَ الأمواجَ ظاناً بأن
يدنو لعمقِ بحرٍ أسودٍ غامضِ الخبرِ
كفَّ اليدَ واللسانَ وامضِ عني إنني
مُتعبٌ بالوعدِ لكَّني أوْمنُ بالقدرِ
فالنوائبُ تهدمُ البيوت التي بُنيت
بعرقٍ لكنَّ الذكرى فينا خالدةٌ الصورِ
والنارُ تحرقُ زرعاً يافعاً ثم تقفُ إذا

واجهت بحارًا سوداء عميقة المنحدرِ
أيا مقيمًا يذبحُ الدمعاتِ في عنقي
هَلَّا أنمتَ الجفونَ التي أثقلها السهر
هَلَّا بعثتَ بقايا رُفاتي ثم مزجتهُ
بترابٍ وعطرٍ ليفيض العبير في الأثرِ
علَّه يبقى متراميًا وإن ذابَ به الزمانُ
فالريح تهوى مجدًا بين أكتافنا يستقر
و تعشقُ حروفنا المتمايلة على جبين
أبياتنا وإن نسفنا العروض أو سكبنا البحر

عُدْتُ من غيري

بين يدي العاصفة أستلقي
وفي مركز الإعصار أرتمي
كأنني من ريحٍ وثرابٍ
أدور حولي ولا أجدني بين شظايا التناقضات

أنشر وجهي على الجدران
وأبعثر صوري بين الطرقات
لعلي أعود بثوبي العتيق
لأكتب اسمي بريشةً يتيمة
تتوسل موطئاً يلّمها من تيهها

يرجع الإعصار ليعانق العاصفة
فأختنق بكلمة عالقة بين فمي ورأسي
كأنها حجرٌ يثقل الروح

فأعود إليّ برأسٍ لا يلائم قبعتي
وبعينٍ لا تحتل ولادة الشمس

أعود بيدٍ نصفها من ترابٍ
والنصف الآخر من نارٍ
كأنني كائنٌ مشطورٌ بين عالمين
ها أنا عدت ووجدت نفسي
لكنها عادت بلا ظلٍ
وبغيري، كأنني غريبٌ عني.

ندم أم فرح

كأنّا ننامُ على وهمٍ طويلٍ
ونحيا كطيفٍ على دربٍ نحيلٍ
فإن أفاقت قلوبُ الورى
بدا العمرُ حلماً، كغيمٍ يميلُ
أصبحونا ضحكةَ الفجرِ إذ
يبددُ ليلاً ويحيي السبيلُ؟
أم نصحو بدمعِ الندامةِ إذ
يجرّحُ قلباً ويبيكي العليلُ؟
فيا نفسُ زوّدي العمرَ زاداً من
الصدق، كي لا يضيعَ الدليلُ
فإن كان في الروحِ نورُ الرضا
فصبحونا عيداً، وإلا أفولُ

مفتاح عجوز

طرقتُ بابَ القلبِ والأنفاسِ حائرةً
فلم أجدُ صدى القرعِ المهيبِ يجيبُ

أهو الوهمُ أم أنَّ اليدَ منهكةٌ
ضاعتُ مفاتيحُها في صمتِها الغريبِ

أضعتُهُ منذُ دهرٍ، والحنينُ يدي
تفتشُ الصورَ المعلقةَ في المغيبِ

لم يبقَ غيرُ مفتاحِ عجوزِ غدا
مقوَّسَ الظهرِ، يئنُّ من النحيبِ

غسلتهُ بدموعِ الغيمِ فانطفأتْ
نارُ الصدا، ولكنَّ ظلَّ في شحوبِ

يحتاجُ دعوةَ صدقٍ كي ينهضَ من
نومٍ طويلٍ، ويهدي الروحَ للدُّروبِ

يحتاجُ معجزةً تشقُّ بحارَ حزني
وتغرقُ اليأسَ في أشباحه الكئيبِ

يحتاجُ يقطينةً حبٍّ تُرمِّمُ ما
في القلبِ من جرحٍ ومن لهيبِ

أُصبحُ البيتُ بيتًا دونَ مفتاحٍ؟
أُصلحُ السكنى وبأبه غريبٍ؟

نسيتهُ في جيبِ الزمنِ الرطبِ
وتذكرتهُ عندَ الوصولِ لقلبي العجيبِ

أهوَ الشوقُ أمَ غربةٌ؟ لا فرقَ
فالوطنُ غربةٌ، والشوقُ بلا حبيبِ

من رَحِمِ شريان " لعنةُ بتلة "

من بقعةِ الدِّمِ إذ صافحتُ آلامي
نبتت بتلةٌ حمراءُ كالأحلامِ

كأنها من شريانٍ قد تفتّقَ رحمُهُ
فانبثقت وردةٌ من صرخةِ الأيامِ

قلبت موازينَ رِقِّ كان يزهو جماله
ونزعت ثوبَ عشقٍ عن فؤادِ هامي

لتلبسَ لعنةَ قهرٍ واغترابٍ مؤلمٍ
وتُسقطَ في رُوحِي ظلالاً نهامٍ

تحوّلت لوحش نأبه ينهش مهجتي
وبرائته تغتال نور غرامي

كلما فتحت باب الذكرى أسقط في
بئر من المشهد المظلم القتام

قتلني بوردة تناثر رمادها
في مقلتي فأعمت درب أيامي

ودثرت روعي ببردة هزيمة
وركمتني للأبد في قبر أوهام

أبيتُ بينَ جفونِ قمرٍ مسجونٍ بالغياب
ألتحفُ ليلاً يابسَ الهدوء، أفتشُ عن وسادةٍ من ياسمينٍ

الحلمُ لم يأتِ، كأنَّه قُتِلَ أو غفا في منفى بعيد
لم يرشَّ على عنقي عبيدَه، لم يطرقْ بابَ جفوني
بريشته

أينَ أنتَ يا حلمي؟
أفتقدُ قهوةً تُسافرُ في فنجانٍ يتيم
أفتقدُ أقنعةً ذهبيةً تكسرتُ كالأقدار
أفتقدُ دموعًا وابتساماتٍ تحلّقُ كفراشاتٍ بيضاء فوق
رماد

الواقعُ حنظلٌ يخنقني بمرارته
كنتُ أستدعي النومَ من أجلك
لكني فقدتُ النومَ حينَ فقدتُكَ

فلا تعُدْ، فقد ذبحتُ جفوني على عتبةِ الهجرِ والاشتياق
وتركتُ أثرًا من دمٍ يكتبني على جدارِ الفراق

أين أذهب؟

قلبي يتفتت كحجرٍ في مجرى النهر
يبحث عن ضفافٍ لا يعرفها
يمشي على حافة الكلمة
يبكي ويجمع دمعته كحباتٍ من زجاجٍ مكسور
ثم يتوارى كظلٍّ يهرب من نفسه

كنتُ عصفورًا ينهض مع الفجر
يحمل نشيد الرزق في جناحيه
لكن الرصاص الطائش مزّق أفقه
وأطفأ قلاع الأمان في كل صباحٍ يولد

أنا الظالم والمظلوم في آنٍ واحد
أحمل براكين روعي
تشتعل ولا تعرف الإخماد

تُحرق الدائرة وما حولها
وتترك رمادًا يعلّق في الهواء

أين أذهب؟
إلى مكانٍ بلا بشر
بلا رائحةٍ ولا أثر
لكنني إن غادرت
سأجرّ خلفي ذيول الهزائم
وتظلّ رائحتهم تسكنني كقدرٍ لا يُمحي

سأخلع جسدي كي لا يذكرني بأني بشر
سأغادر دون قلبي
وأحمل روحي إلى اللامكان
لأدفن ضجيجي وضياعي
وأصير صمًّا خالصًا
كأنني لم أكن يومًا هنا

دروسٌ بسهم

رأيتُ سهمَ غدره يذهبني
بسمٍ يفيضُ ويفتكُ ويُفنيني

يدهُ ملوثةٌ بحقدٍ قاتمٍ
وزنبقةٌ يدي تزهَرُ في حينِ

دعه فؤادي لا تُسامح خائناً
نلتَ منه المرَّ في التكوينِ

يا جرحي المكلومُ كفَّ نزيـف
في صمتٍ ليلٍ خالٍ وسكونِ

علّمني غدره دروساً قاسيةً
ليتَ الدروسَ تعلّمت في سنينِ

ما زلتُ أذكرُ يومَ لقيا مرّه
أنينُ قلبي يُسكُتُ الحنينِ

كأس مشروخ

قَدِّمْتُ فِدْيَةَ عَشْقٍ طَاهِرٍ لِعَيْنِيهِ
فَأُضَاعَهَا بَيْنَ تَفْرِيطٍ وَعُصْيَانَا

تَزَوَّدَ الذِّكْرَ ثُمَّ انْسَابَ مَبْعَثِرًا
فَانْطَفَأَتْ رَوْحُنَا فِي غُرْبَةٍ رَهَانَا

أَفَاضَنِي كَأْسُهُ الْمَشْرُوخُ مُرْتَجِفًا
يَسْقِي رَمَادَ الْهَوَى فِي صَحْوِ نِيرَانَا

يَا مَنْ بَعَثَرَ قَلْبًا كَانَ مُزْدَهَرًا
هَلْ يَزْهَرُ الْوَرْدُ فِي صَحْرَاءِ نَسْيَانَا؟

أَمْ أَنَّهَا الرُّوحُ فِي تَيْهِ بَلَا أَمَلٍ
تَسْعَى لظِلِّ غَرِيبٍ ضَاعَ أَرْكَانَا

لَكِنَّ بَذْرَةَ عَشْقٍ فِي الْفَوَادِ إِذَا
مَاتَتْ، تُحْيِي غَدًا فَجْرًا وَإِيمَانَا

رَأْسٌ مُّقَيَّدٌ

حين تنهض الروح من غفلتها
تخلع عن كتفها غبار القرون
وتولد من جديد
كطفلٍ يصرخ في وجه دنيا
أوسع من رحم ضيق
وأضيق من أمانٍ مفقود

تطير في قفص فضيٍّ مزرَكشٍ بالسراب
تلمع جدرانه كالوهم
وتذوب أجنحتها في زينة زائلة
وحين تحاول أن تحلق نحو حلمها

تصبح غريبةً في وطنٍ بلا وجوه
وترى العالم بلا قناع
فتصطدم بملامح خاوية
لا تعرف الرحمة

فتعود أدراجها
تنسج قيودًا جديدة حول رأسها
كأنها تعترف أن الحرية جرحٌ أبدي
وأن الغفلة موتٌ ناعم
وأن اليقظة ولادة دامية
وأن الحلم بالتحقيق
هو القيد الأجل
والسجن الأوسع
والصرخة التي لا تُسكت.

جفن نصف مهترئ

بين قطرة ماء وجديلة شمس
أغلق أبواب الجفن المرهق
أترك نصف جسدي يحترق
ونصفه الآخر يغرق في غياهب الغياب

محكمة اليقظة بلا عدل
تستدعي النوم شاهداً
ثم تنفيه إلى رحم الضياع
أبني أعوامي حجراً حجراً
فيسقط البناء في رقعة الواقع المهترئ

ميزان عارٍ يتأرجح بين أصابع مرتجفة
جرس صدى يرنّ في الفراغ
وعقول نائمة بين الشمس والقمر
بين الليل الساكن والنهار الدوام
معادلة متعقّنة

تسجن الروح في قيدها المترهل

أجريمة أن أنام بلا معارك
بين الثلج واللهيب
أجريمة أن أستسلم قبل أن أعلن هدنة للحياة
أحقاً هذه أنا
أم ظلّ يتكسر في مرآة الغربة

لا أعرف نفسي ولا أعرف أحداً
لم أعد أميز بين الحلم والواقع
شفاهي احترقت مذ قبلت حلمي
وعروقي تجمّدت مذ أمسكت بعنق الحقيقة

أساق في دوامة واحدة
بين يقظة تجرّني إلى العدم
وحلم يذوب في رماد الفجر
كأنني سؤال بلا جواب
كأنني معادلة بلا حل.

أتنفّس النّور

أراني بين أمواج الحياة، تتقاذفني يمناً ويسرى،
فتارةً يلوح قاربٌ يحملني نحو وجهتي،
وتارةً أقاوم عتمة البحر وحيثانه كي أبلغ المدى.

لكن ثمة حبلٌ مجدولٌ بالنور يتبع نبضاتي،
يمدّني باليقين حين يذبل الأمل،
أمسكه فيرتّب أنفاسي ويعيدني إلى الحياة.

إن غاب عني، أغرق ولو كنت على الشاطئ،
أغرق ولو كنت في سفينة آمنة،
فهو عروتي الوثقى، سرّ نجاتي من موتٍ وأنا على قيد
الحياة.

إيماني بالله وثقتي به هي بوصلتي وخريطتي،
هي مفاتيح نجاحي، ومصدر عزيمتي،
تضعف أحياناً فيخفت بريق الغد في دفتر أيامي،
وتقوى أحياناً فتمنحني العزم لأواصل الطريق بلا وهن.

نصف جناحٍ وظل

أسير دون خطاي، وأترك جناحًا ونصف جناحٍ حائرين
بيني وبين الطريق.

أسير دون وجهي وملامحي، دون بسماتي وعيناي.
أسير لأبحث عني، لأفتش عن صوري التي سرقتها
الصفحات المبللة بالدمع.

لم يبقَ سوى ظلي الضائع، يقف في زاويةٍ يتأمل حيرتي
وعجزي.

أحمل جثة وردتي، وأمضي لأجد تربةً أغرس جذوري
فيها،

لعلني أجد نفسي، ولعل ظلي يرضى.

بين رماد ولهيب

شمس تنطفئ لتُشعل أخرى،

غروبٌ يذوبُ في صدرِ البحر،

وشروقٌ يتسلَّلُ من رحمِ الغياب،

كأنَّ الحياةَ لا تعرفُ سوى أن تُبدَّلَ وجوهَ الأمل،

وتتركنا بين رمادٍ يتهيأ ليصيرَ لهبًا جديدًا.

أسيرة الورق

أكتب بقلبي الغائب، بروحٍ هجرتني وتركتني أجثو
لأقترب من الأرض وأصغي إلى وقع خطواته المبعثرة.
أجلس مع قلبي وبعضني ودفترتي، أسطر على جبين
الورق انتظاري الذي سئم مني، وأحرر الكلمات الأسيرة
التي أطلقها البحر بأنفاسه الرطبة.
لكن الورق خائني، فمضى وراء روعي ليعانقها، كأن
الصبر قد ملّ الانتظار، وكأن الغياب قد استوطن
الحروف.

فيا بحر، لا تدع ماءك يثقل صفحتي، بل رافقها لتجد
قلبي الضائع، وتخبره ببوحي الذي اعتنقني في زمن
الغياب؛ بوخٍ يفيض كالأمواج، ويعود كالأمل، ليعيدني
إلى نفسي التي غادرتني.

ضوءٌ مُستعار

النجمُ لا يستعيرُ ضياءه،
فهو سرٌّ متوهجٌ في ذاته،
ينبثقُ من جوفه نورٌ لا ينطفئ،
كأنما يحملُ في قلبه سرَّ الخلود.

أما الكوكبُ، فيظلُّ أسيرَ العتمة،
يتسوّلُ خصلةً شعاعٍ ليخدعَ ظلمته،
ويتوهمُ أنه نجمٌ،
لكن مرآته هي التي تبتهج، لا هو.

والقمرُ شاهدٌ على الوهم،
يُزيّنُ الليلَ بوهجٍ مستعار،
فلا تنخدعُ بلمعانه،
فهو مرآةٌ للشمس، لا أصلٌ للضياء.

اختز أن تكونَ منبعَ النور،
لا صدىً يتلاشى مع الغياب،
كنَ نجمًا يفيضُ على الأكوان،
ولا تكنَ كوكبًا يقتاتُ من غيره،
فتبقى مرآته سعيدةً،
ويظلُّ قلبُه فارغًا من الضياء.

في حضرة اللقاء

تتوقف عقاربُ الزمنِ على أعتابِ العيون
كأنها تخشى أن تُفسدَ لحظةً وُلدت من رحمِ الغياب

الوجوهُ تُعيدُ رسمَ الحنينِ على مرايا الصمت
والقلوبُ تُهددُ أسرارًا لم تُقل منذ دهور

هناك، حيثُ العيونُ تنطقُ بلا كلمات
يصبحُ الصمتُ لغةً أعمقَ من كلِّ الحروف

في حضرةِ اللقاء، يذوبُ الغيابُ كملحٍ في ماء
وتعودُ الأرواحُ لتكتشفَ أنها لم تفترق يومًا

كُلُّ خطوةٍ ارتجافةً، كُلُّ ابتسامةٍ اعترافٌ
كُلُّ دمعةٍ وعدٌ جديدٌ يُكتبُ على صفحةٍ أبديةٍ

كأنَّ اللقاءَ مرآةٌ تُعيدُ صياغةَ الحكايةِ
من بدايتها الأولى، من نبضٍ واحدٍ يتوزعُ بين جسدين

وفي تلك اللحظة، لا مكانَ للحدودِ ولا للزمنِ
بل لعالمٍ كاملٍ يتسعُ في ومضةٍ واحدةٍ من الأملِ
والدهشةِ.

طيف هائم

أحببتُ روحًا لا يزولُ جمالُها
فغدوتُ أرقبُها كطيفِ هائمٍ
لا الجسدُ أغراني ولا زهرُ الهوى
بل نورُها يغدو دليلي الدائمِ
أمشي وراءَ صداها خلفَ ظلٍّ خافتٍ
وأصونُ عهدَ الطهرِ في الأحلامِ
أدعو الإلهَ بأن يكونَ نصيبَها
رزقًا كريمًا في رضا وسلامِ
حبٌّ عفيفٌ لا يخونُ ولا يميلُ
كالدعوةِ البيضاءِ في الأسحارِ
يبقى طهورًا ما حييتُ لأنَّه
عشقُ الأرواحِ لا غرامَ جَسارِ

بذرة الحلم

كنتُ أظن أن بذرة الحلم إذا سقطت في تربة الأمل
ستزهر فإذا بي أجد نفسي نصف زهرةٍ معلقة بين
حديقةٍ تُنادي بالاخضرار... وصحراءٍ تبتلع كل نبتة قبل
اكتمالها.

نصف حياةٍ تتأرجح بين الرجاء والخذلان كأنني قصيدة
لم تُكتب كاملة أو لوحة توقّف رسامها عند منتصف
اللون.

ومع ذلك يظل في هذا النصف العالق جمالٌ خفيّ يروي
أن البقاء رغم الانكسار هو أصدق أشكال القوة.

بين الباء والهمز

بَدَتْ بيننا وبينَ الذَّلِّ بُغْضَاءُ
باقيةً فينا الكرامةُ شامخةً شَمَاءُ

بعونِ اللهِ نبقى نرنو للعزِّ بقاءُ
بيتُ الكرمِ بيثُنَا يشدو بالعزِّ وإباءُ

بصوتِ الحقِّ نعلو لا نهابُ الأعداءُ
بأرضِ المجدِ نُحيي في القلوبِ الضيَاءُ

بأملٍ صادقٍ نمضي، لا يلينُ لنا رجاءُ
بالعزمِ نكتبُ تاريخًا يظلُّ لنا لواءُ

رياض مُتصحرة

طويْتُ الأيامَ في قبضتي المرهقة
أرنو المبتغى والأملَ كالنورِ في العتمة

قلبي يضجُّ بلا هوادهٍ في صمته
تمضي عليه النوائبُ كالسيفِ في شدة

نالتُ خطوبُ الدهرِ من عزمي وأرهقته
وجودي غدا باهتًا كظلٍّ بلا قبلة

رياضُ روعي يابسةٌ كصحراءٍ موحشة
رؤى الأملِ غابت كنجمةٍ في غياهبه

دائرة تعلّقي

ديدنه دماثة خُلقِ ودينِ
ديدني اتّباعه دونَ تأويلِ

دُنيا وآخرة أرجو لقاءه
دائرة التعلّق تحيِّط بقلبٍ عليلِ

دَمعي إذا ذُكِرَ اسمه ينحدرُ
دَفءُ القلوبِ إليه يميلُ

دَرْبُ الهدى في خُطاهُ مُضيءٌ
دَوامُ نورٍ على الدربِ جليلِ

العصفور والصيد

يُمد كفاً بلطفٍ والدُفءِ ظواهرُهُ
لكن خلفَ اليدِ تُخفى الشِّباكُ والغَدَرُ

يدنو إليه كأنه يُنصِتُ لنبضِهِ
وفي عَيْنِهِ يلمَعُ المَكْرُ والانتظارُ

لا يريدُ أن يُزعِجهُ... يخشى فرارَهُ...
فما حُنُوهُ إِلَّا طَعْمٌ للصيدِ والجِذَرِ

يا طائراً لا تَغْتَرَّ بوعدِ خادِعٍ...
فكم من يدٍ تَقْتُلُ الأملَ بثوبِ الوِقَارِ

روحٌ نقيّة

طيّف المحبة في فؤادي نما
يُزجي في دروبي الكرماً
بسمة الخير لا تفارق وجهه
تروي القلوب بنوره إذ أطل
قلبٌ تزيّن بالصفاء وبالهدى
لطفٌ يفيض كالغدير إذا همى
باركك ربي في خصال طيبة
روحٌ نقيّة، ما أجلّ وما أعظما

سؤالاً يتيم

سألتُ الهوى عن دروبٍ غريبة
سكتَ الجوابُ كأنَّ النهايةَ قريبة

سامحتُ قلبًا تاهَ في ليله
سعى وراءَ السرابِ بخطوةٍ عجيبة

سألتُكَ يا هوى عن وعدٍ قديم
سقطتَ كلماتي في صمتٍ رهيبه

سأبقى أفْتَشُ بينَ نجومِ السماء
سراجًا يضيءُ لروحي الحبيبة

وراء القناع

أرى الوجوه وقد تهاوى قناعها
فتجلّت الأرواح في الإخفاء
صعبٌ على قلبي إذا ما أبصرت
سرّاً دفيناً في ثنايا الخفاء
يمضي بصيري كالسيوفٍ مُحدّدا
لا ينخدع بالزيف أو بالرياء
فالصدق أثقل ما يُحمّل الإنسان
لكنّه دربُ النجاة النّقاء

ذِكْرِي مَوْلَمَة

ذَاكَ الْقَلْبُ الْحَنِيدُ يَوْجِعُنِي
ذِكْرَاهُ تَنْهَشُ فَيَا بِلَا هَوَادَة

ذَنْبٌ كَأَنَّهُ يَهْجُمُ فَيَفْتَرِسُ
ذِكْرِي الْبَسْمَة وَيَسْتَلْذِ بِآهَاتِي

ذَوْقُ دَمَوِيٍّ يَتَفَنُّ فِي الْأَلَمِ
ذَنْبٌ عَظِيمٌ كَأَنَّهُ يُثْقَلُ الْأَرْوَاحُ

ذَوِ الْجِرَاحِ الَّتِي لَا تُشْفَى
وَإِنْ جَاءَ بِجَبَلٍ اعْتَذَارَتِ

جمال لا يبلى

تظلُّ المحتشمةُ في كلِّ حينٍ
جميلةً كأنَّ الحُسنَ بسترٍ بقاءُ
فلا يُبلى جمالُ الروحِ فيها
ولا يطفئُ ضياءُها الفناءُ
طفلةٌ في حياتها زهرٌ طهر
يفوخُ كالعطرِ في صبحِ نداءٍ
ثمَّ في صباها بدرٌ ليلٍ
يضيءُ بوقره رَغَمَ البلاءِ
وحينَ يجيءُ نُضجُ العمرِ فيها
تفيضُ حكيمةً مثلَ الضياءِ
وفي شيخوختها يبقى جمالُ
يجلُّها بوقرٍ وارتقاءُ
فالحُسنُ ليسَ في وجهٍ بديعٍ
ولا في زينةٍ أو في كساءٍ
بل الحياءُ هو التاجُ المضيءُ
يُخلِّدُها بضياءٍ وبهاءٍ

أحللتُ قيدَ الأسي فانفجر
وأبقيتُ روعي رهينةَ القدر
أعلّقُ نفسي على شُرفةٍ
تُنازعُ بينَ البقاءِ والسفر
أُقيّدُ قلبي بسجّانه
فأغدو أسيرةَ وهمٍ كدر
ثقبْتُ عروقي بأبرة الصبر
فمزّقني الألمُ إذ قد نحر
أنادي نجومَ الدجى في دعاء
لعلي أفكٌ وثاقًا غدر
فأشفقتُ النجمُ إذ رثتُ حالي
وقالت: تحرّري ممّن أسر
كيف أتحرّر وقد اعتدتهُ
وباتت روعي تموجُ كالبحر
أنا مثلُ بئرٍ جفّ ماؤه
أأردمُهُ أم أناجي المطر؟
فيا ربّ معجزةٍ من السماء
تُنيرُ الدروبَ إذا الليلُ اقترَب
مني وإذا الأملُ لحفرةٍ انحدر

طير بثوب سمكة

حين تنضب ينابيع الشغف في أعماق الروح، ينهض
البحر كغولٍ مالحٍ يبتلع سفن البلاغة ويترك حيتان
البوح جثثًا على سواحله. هناك، يتهاوى الطير الذي كان
يلامس السماء، ويتحوّل إلى سمكة صغيرة ترتجف أمام
نسمة هواء وتتشبث بقطرة ماء كأنها خلاصها الأخير.
بين خوفٍ من الطيور ورهبةٍ من الأسماك الكبيرة،
تختبئ الروح في الشعاب، ترفض المغامرة، وتغلق
أبوابها أمام اكتشاف الأعماق التي وُجدت لُكتشف.
تحلم أن تسبح بلا قيود، بلا صيادٍ يترصدها أو شبكةٍ
تُحاصرها، أن ترى الطير صديقًا لا خصمًا، يحملها بكأس
ماء لتطلّ على العالم كله دون وجل.

لكن الحلم يظل محاصرًا خلف صخرة، أو عالقًا بين
أعشاب البحر، يختلس النظر إلى حياة لا يجرؤ على
لمسها، ويظل أسيرًا لرهبة أكبر من قدرته على الانعتاق.
وحين تجرأت أخيرًا، لم يمنحها البحر خلاصًا، بل خانها،
قدّمها أضحية للصياد، فمزّق جسدها ووزّع بقاياها بين
الطيور والأسماك.

لم يكن البحر وطنًا، بل خيانةً متقنة، سلّمها إلى خوفها
على طبقٍ من فضة، ليعلمها أن من يهرب من المغامرة
يظل أسيرًا، حتى لو ادّعى أنه يسبح في فضاء الحرية.

مبادئ راسخة

إذا لم أجد نفسي بمكانٍ تركتهُ

فلا رجعةً لي فيه ما دام خالي

وأرواحٌ لا تُشبهُ الروحَ تُقصى

كانَّ لها في عالمي حظٌّ إدخال

فما العمرُ إلا ومضةٌ لا تكررُ

فكيف أضيِّعهُ في وهمٍ زائلٍ؟

سأبني حياتي على مقياسِ قلبي

وأختارُ دربي، لا سواه، مثالي

لا عُفْرانَ أو عودة

أيظن أني قد أذوبُ لرجعةٍ
والجرحُ ما زال يفيضُ بدمه

قد جاءَ يحملُ وردَهُ متبسِّماً
لكنَّ قلبي لا يلينُ لظلمه

كم خانَ عهدَ الحبِّ ثمَّ تبرَّأ الـ
أيامُ تشهدُ أنَّه في إثمِه

قد كنتُ طفلاً في يديه، فغادرتُ
روحي لتعلنَ أنني في حكمه

أبكي، ولكن لا أحنُّ لظالمٍ
قد باعَ عمري، وارتوى من دمه

ما عدتُ أرجعُ، والرجوعُ مهانةٌ
والعزُّ أن أبقى بعيداً عن يديه

قد كنتُ أهوى ظلَّهُ، فتنكَّر الـ
ليلُ الطويلُ، وأطفأ النورَ فيه

فإذا أتى، فالريخُ تحملُ صوتهُ
لكنَّ قلبي لا يجيبُ لندائه

قد علّمتني أن الهوى إن خانني
فالعزُّ أن أمضي بعيداً عن يديه

بقايا صور..

عَادَتِ خُطَايَ بِلَا حَاضِرٍ وَلَا قَدَرٍ
فَانْطَفَأَ الْحُلْمُ فِي صَمْتِ بِلَا أَثَرٍ

ذَابَتْ وَجُوهُ اللَّيَالِي فِي غِيَاهِهَا
كَالْمَحْوِ يَلْتَهُمُ الْأَيَّامُ بِالصُّورِ

خُطْوَةٌ يَتِيمَةٌ تَمْشِي عَلَى وَجَعٍ
تَسْعَى لظِلٍّ كَسِيرٍ ضَاعَ فِي الْحَجَرِ

وَالطَّرِيقُ الضَّائِعُ الْمَرْهُونُ غَرِيبُهُ
يَبْكِي دُمُوعًا أَجَاجًا عَلَى حَافَةِ مُنْحَدَرٍ

سوارٌ قاتل

قيدٌ يلتفُّ حول يدي،
ليس من وردٍ، بل من شوكٍ يتظاهر بالحنان.
يخنقُ شريانًا كان يمدُّني بالود،
ويغدو جزءًا منِّي، كأنَّه ظلٌّ لا ينفصل.
إن اقتلعتُه، انسلختُ عن نفسي،
وإن أبقيتُه، أكل ما تبقى من قلبي.
فهل كلُّ ما نسقيه حبًّا، يردُّ علينا طعنة؟
أم أنَّ القلبَ صارَ يفتش عن جرحٍ ليشعر أنَّه حيٌّ؟
سوارٌ من وردٍ أكل جلدي،
حوَّلَ الجمالَ إلى سجنٍ،
والحنينَ إلى نزيفٍ،
والزهَرَ إلى قناعٍ يخفي حدَّ السكاكين.
يا قلبًا يرضعُ الأشواكَ من دمه،
أما أنَّ أن تخلعَ هذا القيدَ،
وتتركَ يدك حرَّةً،
كي تكتبَ قصيدتك الأخيرة بلا خوف،
وتعلنَ أنَّ الحبَّ لا يُسجن،
وأنَّ أجملَ القيود قد تكونُ أشرسَ السكاكين.

رتقُ سماء

فتقت رتقًا كان ينزفني سماءً
فقلبته أرضًا،
فصار الأفق يتيه بلا جناح.

سيول العين اندفعت،
كانها نداءً يشرخ صمت المدى،
ويوقظ جرحًا يختبئ في العظام.

طيف الماضي يزورني،
يسكب روجي في وديان عميقة،
ويشق بحرًا أغرقني،
لأعبر إلى سلام هش
كأنني أستظل بظل من هواء.

جيش الشك يتبعني،
يُشهرُ سيوفًا من ظلال،

وأنا أتعكّزُ على جذعٍ حنٍّ لأمّه،
أعبرُ الضفة،
وأغلقُ الطودين لأدفنَ قاتلي في صمتٍ كثيف.

لكنّ صفوّ سلامي يُقتحم،
بعجلٍ خرج من أثرٍ جرحٍ قديم،
له زئيرٌ يعصفُ،
وينادي بملحمةٍ أخرى.

يا فؤادي، لا مساس بعد الآن،
لقد سئمتُ الكفرَ بندبةٍ
تأكلُ موائد الأملِ على طاولةِ الغد،
وتتركّني أمامَ مرآةٍ
تعكّسُ وجهي الممزّقَ بالأسئلة.

بساط أم وطن ؟

قفوا، لنشرب من كأس يفيض باسم الوطن،
كأس يختلط فيه الدمع بالزغردة،
فينسكب على المقل نورًا ووجعًا.

قفوا نرثي الجهات الأربع،
جنوبه وشماله، شرقه وغربه،
كل ذرة ترابٍ تحمل ذاكرةً لا تُمحي،
كل شبرٍ يئن من غياب العناق.

أين أنت يا وطن؟
ظنوك بساطًا تُشدّه الأمم،
لكنك لست بساطًا يُطوى أو يُفرش،
أنت روحٌ تسكن الجسد،
وجسدٌ ينهض بالروح،
أنت المعنى الذي لا يُختزل،
والهوية التي لا تُمحي.

ملاك مدفون في مقبرة الحقده.

كل شيء يولد بريئاً على وجه الأرض،
تشرق الشمس على الكائنات فتغدو أظهر من النور،
وتتنفس الأرض بسلام لا يعرف الخيانة،
إلا الإنسان؛ هو الاستثناء الذي يجرح الوجود.

يتقن كسر القلوب كأنها زجاج هش،
ويغرس خناجره في فرح الروح حتى تذبل،
يمشي وراء ظله الأسود،
فيتعلم الشيطان من دهائه،
ثم يتقمص دور الضحية حين يتصدع قناعه.

يدفن ملاكه الداخلي في مقابر الحقده،
ويقيم عرشاً لغرائزه العمياء،
يغدو سيداً للخراب،
ويترك خلفه أثراً من الرماد والدموع.

يا للمفارقة:
إنه يحمل في قلبه بذرة نور،

لكنه يختار أن يكون ظلامًا،
ويحمل في روحه نداء الرحمة،
لكنه يزرع شوك القسوة في كل أرض يطأها.

الكائن الذي يعلم الشر كيف يكون أكثر دهاءً،
ويعلم القسوة كيف تصير أكثر قسوة،
ثم يزعم أنه ضحية القدر،
بينما هو الجلاد الذي يدفن ملاكه ليُتَوَّج شيطانه.

ساحة صراعٍ لا تنتهي،
كأنما خُلِق ليكون المفارقة الأبدية بين البراءة والجرح.

الخاتمة:

في خاتمة هذا الكتاب، يتجلى الألم كجذرٍ غائرٍ في الأرض، لكنه لا يكتفي بالانكسار؛ بل يمدُّ أغصانه نحو الضوء ليزهر من قلب العتمة.

هنا، يصبح الوجد بذرًا للمعنى، والدمعة نبعًا للوعي، والقصائد شهادةً على أن الروح قادرة أن تحوّل كسورها إلى حقائق، وأن الألم حين يزهر، يترك وراءه دربًا من نورٍ لمن يجرؤ على العبور بين الظلال والندى.

تم بحمد الله...

تأليف وتدقيق: الكاتبة والشاعرة منى قبس دخيل

تصميم الغلاف: أنور شوشة

جلنار زهرة الرمان

أم البنين السورية

عاشقة الشام